رُوحَانِيَّةُ النبي إيليّا وَدَورُ الأخويَّةِ في نَشرِ رِسَالَتِهِ

لقاء مع رابطة الأخويات في لبنان –إقليم نيابة صربا

في دير مار الياس الراس

الخميس ١٥ تموز ٢٠١٠

المقدّمة

في وسط المجتمع اليهودي والوثني لمعت شخصية إيليّا في القرن التاسع قبل المسيح في فلسطين. عاش النبي في عهد آحاب ملك اسرائيل. وكان في صراع دائم معه ومع الملكة ايزابيل المستبدَّة. منذ زواجها وانتقالها الى قصر آحاب ملك اسرائيل (٨٥٣ – ٨٧٤) نقلت الاميرة معها الى فلسطين عبادتها والاصنام. بوحي منها وبلفتةٍ خاصة، نشر "الأنبياء" المتعبدون لعشتروت وبعال عبادة الآلهة الوثنية في ذلك البلد. كانوا يجتمعون في "المواقع العالية" على التلال الخضراء ليقدموا الذبائح الى بعال وآلهة الحب والجنس: عشتروت. أما المتعبدون للإله الواحد الحقيقي فكانوا يُطارَدُون ويُضطهدون بينما توطد الملكة إيزابيل عبادة الآلهة الغربية في قلب العاصمة أورشليم.

اشتهر إيليّا بالتنسك والتقشف الصارم والتعبد الخاضع لمشيئة الله الخضوع المطلق، وبالغيرة النارية على إيمان آبائه، وبالجرأة الصارمة تجاه الملك وكهنة البعل. وإن أردنا أن نغوص في روحانيّته، علينا أن نفهم أنّ الروحانيّة هي اختبارٌ شخصيّ يعيشه الإنسان ويتعلّق بفرادة إيليّا عن غيره من القدّيسين. لكن ما هو مُشترك بين جميع القدّيسين هو أنّهم سعوا كلّ أيام حياتهم إلى اكتشاف الله وتحرير ذواتهم من كلّ ما يُبعدهم عنه.

١. روحانيّة النبي إيليّا

إيليا هو النبيّ "الواقف في حضرة الله". لقد اختارَ إيليّا الله وحده وهذا ما كفاهُ ليسمعَ له ويعمل بمشيئته. بالنسبة إلى إيليّا هذا "المثول" أمام الله لم يكمن في الطقوس والعبادات، بل بالحياة المصُوغة كلّها لتكون على مثال الربّ الذي أحبّه واختاره ليخدمه بكلّ قوّته وروحه. فموقفه هو موقف العبادة والإكرام وتقدمة الذات والتفاني.

من الغريب أنّ المهمّة الأولى التي أوكلها الله لإيليّا لم تكن تتميماً لرسالةٍ معيّنة أو إعلاناً لكلمة أو تبشيراً، بل الانسحاب والاختفاء: "إذهب من هنا نحو الشرق واختَبِئ عِندَ نهرِ كريتَ شرقيَّ نهرِ الأردنّ، فتَشربُ من النهرِ، وأنا أمرتُ بعضَ الغِربانِ أن يُطعموكَ هناك" (١ مل ١٧: ٣-٤). أمرُ الربّ

هذا حَفِظَ إيليّا من غضب الملك آحاب بسبب الجفاف الذي أعلنه إيليّا كتحذيرٍ بسبب عبادة الأوثان. وعبارة "إذهب من هنا"، تعني أترُك يقينك الخاصّ و"توجّه إلى الشرق"، باتّجاه الله، و"اختَبِئ" لتتغذّى من الله فقط في تسليمٍ مُطلق. كريت تكاد تكون واحةً في الجزء السفلي من واحةٍ صحراويّة: الله هو واحةُ إيليّا. بهذه الصور، يُصوِّرُ النبيّ التشبيّ، بالرجل الذي بد من أن يعود إلى طريق الصحراء، طريق الثقة، ويقبل من الله وحده الغذاءَ والماء مستسلماً استسلاماً تامّاً إلى الربّ.

لكن الاختبار العميق الذي طبع نفس إيليّا هو الذبيحة على جبل الكرمل (١ مل ١٨). دعا آحاب الشعب الى لقاء مع ايليا، على جبل الكرمل. فبادر ايليا المجتمعين قائلاً: [إن كان الرب هو الإله فاتّبعوه، وإن كان البعل إياه فاتّبعوه". فلم يُجِبهُ الشعب بكلمة. فأكمل: "أنا الآن وحدي بقيت نبياً للرب، وهؤلاء أنبياء البعل أربع مئة وخمسون رجلاً. فليؤتَ لنا بثورَين، فيختاروا لهم ثوراً، ثم يقطعوه ويجعلوه على الحطب ولا يضعوا ناراً، وأنا أعدّ الثور الآخر وأجعله على الحطب ولا أضع ناراً .ثم تدعون أنتم باسم آلهتكم وأنا أدعو باسم الرب، والإله الذي يجيب بنار فهو الإله"(١ مل ١٨: ٢٢-٢٤).

لا يقتصر الأمر إذاً على معرفة أي من الرب الإله أو من البعل هو الأقدر، بل أي منهما هو الله على الاطلاق. لم يترك ايليا أيَّ مجالٍ للشك في أن الايمان بالإله الواحد هو رهان هذا التحدي. هيّأ أنبياء البعل وعشتروت المذبح والذبيحة ودعوا باسم البعل من الصبح الى الظهر وهم ينادون ثم يصرخون "أيها البعل أجبنا" فلم يكن من مجيب ولا مصغ. وكان ايليا يسخر منهم ومن إلهَهم.

بعد فشل أنبياء البعل، رمّم ايليا المذبح، وضع عليه الذبيحة وصبّ فوقها ماء ودعى باسم الرب قائلاً: "إستجبني يا رب، إستجبني، ليعلم هذا الشعب أنك أيها الرب أنت الإله..." (١ مل ١٨: ٣٧). فهبطت نار "وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب"، فصرخ الشعب: "الرب هو الإله، الرب هو الإله". في ذلك المساء، بعد العودة من جبل الكرمل حيث كان انتصار ايليا عظيماً، اسودّت السماء بالغيوم وهبّت الرياح وهطل مطر غزير. خضع الملك آحاب، على مضض، للأمر الواقع. أما الملكة ايزابيل فلم تخضع. اضطهادها للنبي تجدّد بأكثر حدّة. وأرسلت اليه رسولاً يقول باسمها: "كذا تفعل الآلهة بي وكذا تزيد، إن لم أجعل نفسك في مثل الساعة من غد كنفس واحد منهم" (٣ مل ١٩:٢).

من جديد كان على ايليا أن يفُرّ مفتّشاً له في الصحراء عن مخبأ. فاتّجه الى بئر سبع ودخل بعيداً في صحراء مملكة يهوذا ليخلّصَ نفسه. هذا الهروب يسبق مباشرةً الظهور الإلهي على جبل حوريب (١ مل ١٩: ٣-٨). كان إيليّا خائفاً من الموت، كان مُتعباً ومكتئباً. بالرغم من كلّ ما عمله، لا يبدو أنّه وصل إلى نتيجة، لأنّ الملكة توعّدت بأن تجعله يدفع الثمن. شعر بأنّ حياته لم يعد لها أيَ معنى وأراد أن يموت. لجأ إلى الصحراء لأنّ حياته كانت تبدو له صحراءً: "كفاني الآن يا ربّ، فخُذ حياتي. فما أنا خيرٌ من آبائي" (١ مل ١٩: ٤). لكنّ الله تدخّل في الوقت المناسب، وقت الخوف والانهيار

مُرسلاً ملاكه ليوقظه ويقول له: "قم فكُلّ، فإن الطريق بعيدة أمامك" الى جبل الله حوريب. فنظر فإذا عند رأسه رغيف مخبوز على الجمر وجرّة ماء، "فقام وأكل وشرب، وَسَارَ بفعلِ تِلكَ الأكلَة أربعينَ يوماً وأربعينَ ليلة إلى جبل الله حوريب" (١ مل ١٩: ٧-٨).

كان هدف مسيرة إيليّا جبل حوريب. ومسيرته أربعين يوماً وأربعين ليلة للوصول، تشيرُ إلى الوقت المقدّس لتدخّل الله. سار إيليا خروجاً حقيقيّا جعله يخرج من ذاته، من الفراغ الذي يعيش فيه ليواجه الصحراء ويقبل دعوة الله الذي حدّد له موعداً على الجبل، جبل الوحي والعهد. فالمسيرة التي كان يُمليها الخوف، أصبحت عودةً إلى جذور الإيمان وفرصةً للبدء من جديد. كانت مسيرةٌ مُتعبَة وشاقة يتعاقبها نورٌ وظلمة (أربعين يوماً وأربعين ليلة). والليل هنا ليس ظلاماً فقط، بل أيضاً فترةٌ من الراحة يستريحان فيها الجسد والروح. إنّها عمليّةٌ صعبة ولكن حقّقها إيليّا بالقوّة التي منحه إيّاها الله من قِبَلِ الملاك: الخبز والماء. على الرغم من أنّ النصّ لا يشير إلى صوم إيليّا، يمكننا اعتبار اختباره في الصحراء، عمليّة صومٍ أيضاً: ليس صوماً عن ما يقوتُ ويُعطي القوّة، بل عن ما يُشتِّت ويَصرِف العقل عن الله. فالطريق يتطلّب تركَ الأحمال الثقيلة التي لا تلزم والتي تثقّل النفس. إنّها أيضاً مسيرة إيمان. قال الملاك لإيليّا بأن عليه أن يخطّ السعيَ لأنّ "الطريق بعيدةٌ أمامه"، لكنّه لا يُعلن له عن أيّ لقاءٍ مع الربّ. بالرغم من ذلك، وثق إيليّا وأطاع دون أيّ كفالةٍ أمامه. كانت الكفالة الوحيدة اختباره لحضور الربّ الذي لا يترك المؤمنين أبداً. إنّه طريقٌ طويل، لأنّ اللقاء بالربّ يتطلبّ إستعداداً، والاستعداد يلزمه الوقت. إنّها مسيرةُ خروجٍ، لأنّ اللقاء بالربّ لا يتمّ في الركود، بل بالخروج. تميّزت حياةُ إيليّا بأنّها كانت في حركةٍ مستمرّة: "إذهب...قُم..." وعندما كان يستسلم لتجربة العزول عن عزمه، كان ينهارُ ويشتهي أن يموت.

في نهاية المسيرة، وصل إيليّا إلى حوريب: "ودخل مغارةً هناكَ وباتَ فيها" (١ مل ١٩: ٩). دخوله إلى المغارة هو علامةٌ أخرى للهروب وللانغلاق على نفسه. ما زال إيليّا ضعيفاً وخائفاً، يبحثُ عن سلامته في مكانٍ مغلق. لكنَّ الحماية التي توفّرها المغارة لها ثمنها: الظلامُ والعُزلة. بالرغم من وجوده في المغارة، بحث الله عنه وسَمِعَ إيليّا صوتَ الربّ القائل: "ما بالُكَ هُنا يا إيليّا"؟ لم يُخاطبه الله مُطوّلاً ولكن يطرح عليه سؤالاً: "ماذا تفعلُ هنا"؟ بدأ إيليّا مسيرةً مُتعبَة وشاقَّة لملاقاة الربّ، مسيرةً كلّفته كثيراً وراهنت على إيمانه. وما دخوله إلى المغارة إلاّ دليلٌ على تجارب الطريق: إنّه بحاجة إلى "الأمان" ولكن في هذه النقطة بالذات، عندما توقّع إيليّا أن يجنيَ ثمارَ تعبِهِ، أتى سؤال الربّ: "ماذا تفعل هنا يا إيليّا"؟

أجاب إيليّا: "إنّي غِرتُ غَيرةً للربّ، إله القوّات، لأنّ بني إسرائيل قد تركوا عهدك وحطّموا مذابحَكَ وقتلوا أنبياءك بالسيف، وبقيتُ أنا وحدي، وقد طلبوا نفسي ليأخذوها" (١ مل ١٩: ١٠). بجوابه هذا، يُطالبُ إيليّا بالتزامه: "أنا مملوءٌ غَيرَةً...لقد فعلتُ الكثير من أجلكَ يا ربّ. لم أضنَّ عن نفسي، بل أعطيتُكَ كلّ شيء، ولكن...يسرد إيليّا كلّ ما هو سلبي، كل ما هو خطأ، كلّ الإخفاقات

التي يراها أمامه، ويستنتج: "بقيتُ أنا وحدي، وقد طلبوا نفسي ليأخذوها". ولكن ما يقوله إيليّا ليس بحقيقيّ، لأنّ ما يقوله هو رؤيته الشخصيّة للواقع. في واقع الأمر، وفي وقتٍ لاحق من النصّ، يقول الربّ في الآية ١٨: "أمّا في إسرائيل فأُبقيَ سبعةَ آلافٍ، كُلُّ مَن لم يركَع للبعلِ ولم يُقَبِّل صَنَمَهُ".

بناءً على ذلك، لم يكن إيليّا أبداً وحده، لكنّ الله لا يدعه يُلاحظ ذلك في الوقت الحاضر. لأنّ ما يهمّ، هو أنّه على الرغم من تعبه وتأثّره بجراحه وخوفه، لم يفقد رغبته بلقاء الربّ. سؤال الربّ: "ماذا تفعل هنا"؟ دفعه إلى إدراك وتذكُّر هذه الرغبة، ولرؤية نور هذه الرغبة في خضمّ التعب والخوف.

قِيلَ لإيليّا: "أُخرُج وقِفْ على الجبلِ أمام الربّ". أُخرُج! لا يزال إيليّا في حركة. وكأنّ الربّ يدعوه ليترك كلّ شيءٍ وراءَهُ، حتّى التعب والخوف، والأمان المزيّف في المغارة ويستسلم لله بكلّ ثقة دون أيّ دفاعٍ عن نفسه في مواجهة الربّ. "قِف أمام الله": يدعو الربّ إيليّا ليعود إلى معنى وجوده، ليخرج من كلّ شيءٍ يُخفي حقيقةَ نفسهِ، و"يقف" أمام ما هو حقيقةً، ومعترفاً بما فعله الله له.

بعد ذلك "عَبَرَ الربّ، وهبَّت ريحٌ عظيمة وشديدة شقَّت الجبال وكسَّرت الصخور أمام الربّ، ولم يكن الربّ في الريح، وبعد الريح زلزالٌ، ولم يكن الربّ في الزلزال. وبعد الزلزال نارٌ، ولم يكن الربّ في النار. وبعد النار صوتُ نسيمٍ لطيف. فلمّا سَمِعَ إيليّا سَتَرَ وجهَهُ برِدائهِ وخَرَجَ وَوَقفَ بمدخل المغارة. فإذا بصوتٍ إليه يقول: ماذا تفعلُ هنا يا إيليّا"؟

في النهاية تمّ ظهور الربّ وكذلك ظهور العناصر النموذجيّة التي كانت تدلّ في العهد القديم على وجوده: الريح، الزلزال، والنار. لكن في هذه الحالة، لم تدلّ هذه العناصر على وجود الله. فهو لا يوجد في أيّ من تلك العناصر. كان إيليّا يعرفُ هذه العلامات بالتأكيد، ويتوقّع ظهور الله وفقاً لشرائع آبائه. لكنّ الله أراد أن يُغيِّر له مفاهيمه: إنّه يحتفظُ بظهورٍ مميّز خاصّ بإيليّا: النسيم اللطيف. إنّها علامةٌ لا توجد في أيّ سفرٍ آخر من أسفار الكتاب المقدّس.

الله، الضابط الكلّ والمتعالي، أصبح صغير جداً حتّى التزم الصمت "...". الحبّ يستهلكُ الكلمات ويَرى بالعينين دون أن يقول شيئاً. لقد أصبح الصمت أكثر بلاغةً من الكلمات! لكن صمتُ الله ليس خالياً من الكلام أبداً. الله الكلمة لا يمكنه أن يكون أخرساً. ولأنّه الكلمة، يعبّر عن ذاته بمجموعها. إذاً لا يعبّر الله فقط من خلال صوته فقط، بل من خلال غياب صوته، أي من خلال الصمت. نحن نفهم في كثيرٍ من الأحيان "صمت الله" بطريقةٍ سلبيّة، والمزمور ٢٨ يعبّر عن هذه المعاناة والآلام التي يختبرها الإنسان أمام الله "الصامت": "إليكَ يا ربِّ أصرخُ، يا صخرتي، لا تتصامم عنّي، لئلا تصمُتَ عنِّي، فأشبِهَ الهابطين في الهاوية" (مز ٢٨: ١). لكنّنا ننسى أنّ الله عندما يُكلّمنا بالصمت، يتحدّث إلى أعمق ما فينا ويشجّعنا على تعزيز إيماننا. وحده الإيمان يجعلنا نعيش هذا الصمت كـ "صوتٍ من الله" وليس تخلّياً عنّا.

بعد أنّ مرّ الله في النسيم اللطيف، أخفى إيليّا وجهه بردائه. رأى إيليّا الله وجهاً لوجه فغطّى وجهه. كان إنسان العهد القديم يعتقد بأنّ من يرى الله وجهاً إلى وجهٍ يموت. لكن اليوم تختلف النظرة بالنسبةِ إلينا. نحن نعلم أن الله صار إنسانا لكي يمكننا أن رى وجهه دوه خوف. لكن وحده الإيمان يمكنه أن يساعدنا على التغلب على الخوف من هذا اللقاء مع الإله العظيم، الذي سَحَقَ ذاته لكي يُصبح على مقرُبةٍ من الإنسان، متجسّداً في تاريخه.

ينتهي النصّ بالسؤال مرّةً ثانية: "ماذا تفعل هنا يا إيليّا"؟ ويجيب إيليّا الجوابَ نفسه. يلي جواب إيليا إشارةً جديدة يعهد بها الربّ إلى النبيّ مهمّةً جديدة. تكرار السؤال يدلّ على أهميّته. إنّه النسيم اللطيف الذي يسأل: "ماذا تفعل هنا"؟ جواب إيليّا هو نفسه، لكن لم يعُد إيليّا الذي كان يسعى لسماع صوت الربّ في الريح، والزلزال والنار، بل إيليّا القادر على سماع الصوت الصامت في داخل كيانه. كلّم الله إيليّا ولكن ليس كما توقّع هذا الأخير. ولكي يسمع صوت الربّ كان عليه أن ينتظر، والانتظار يعني القيام بمسيرة استعدادٍ وقبول المخاطر والقيام بفعل استسلامٍ كامل. السماع يتطلّب الصعود إلى الجبل ومواجهة التعب والخوف والخروج من المغارة التي نختبئ فيها. إنّه انتظارٌ لملاقاة الله هنا والآن إلى أن يحدث هذا اللقاء نهائياً عند ساعة الموت.

لقاء إيليّا بالربّ حمّله رسالةً، ألا وهي أن يحمل كلامه للبشر. إنَّ كلمة الله تقود التاريخ، ولكنَّ البشر مدعوّون ليصنعوا التاريخ مع الله. تكلّم الله بواسطة إيليّا ليتعلّم الشعب أنّه لا مكان للبعل في إسرائيل، وأنَّ الربّ وحده هو الإله، ولا إله سواه. تكّلم إيليّا باسم الربّ، وأعلن نداءه، وطلب الطاعة لوصاياه، وذكّر الشعب بمواعيده وحمايته. كان كلّ همّه أن يدافع عن الشريعة والعدالة في أرض إسرائيل.

لذا دافع إيليّا عن المظلوم والضعيف وواجه المتسلّط والمجرم. أعلن إيليّا عن حكم الله العادل في مسألة مقتل نابوت. فهو وقف بوجه إيزابل المتسلّطة التي وضعت نفسها مكان الله وسيطرت على زوجها فحوّلته إلى عمل الشرّ. إذا كان الملك يملك سلطاناً فهو من الله، ولا يحقّ له أن يقرّر موت أو حياة أيّ إنسان. بل يجب عليه أن يتذكّر بأنّ من يسرق فقيراً هو كالقاتل، لا بل أكثر من ذلك إنّه مجرم، تصرّف بدافعٍ من أنانيّته بدل أن يحكم بالعدل.

قصّة نابوت هي صدىً لصرخةٍ نجدها دائماً في الكتاب المقدّس. رَفْض نابوت لبيع كرمه، يشبه صبر القدّيسين الذين فضّلوا الحفاظ على الميراث الروحي الذي وهبهم إيّاه الآب السماوي، ورفضوا أن يستبدلوه بملذّات هذا العالم الزائل. اختاروا الموت، وكذلك فعل نابوت، إذ رفض أن يبيع كرمه أو أن يقايض بآخر. معاناة نابوت، تذكّرنا بمحاكمات الشهداء أمام القضاء، الذين استشهدوا إمّا للحفاظ على قيمٍ يعيشونها، أي معتقداتهم وإيمانهم، أو دفاعهم عن الضعفاء ضدّ المتجبّرين. كذلك نابوت استُشهد لأجل استقامته.

٢. دور الأخويّة في نشر رسالته

إذا كان الزمان والمكان يفصلانا عن إيليّا النبيّ، فرسالته وروحانيّته تتجاوز المعالم الجغرافيّة لفلسطين لتصل إلى جغرافيا النفس، أو بالحريّ إلى جغرافيا الحياة الروحيّة. إن تأمّلنا مليّاً في حياتنا الروحيّة فهي تُشبه جزءاً من خريطة: هناك جبال (تقدّم روحي تدريجي)؛ وبحيرات، وأنهار، وبحار (لدي المصادر لأشرب، فأنّي في عطشٍ دائم إلى الله، أشتاق أن أتعرف عليه أكثر فأكثر لأعمل بإرادته)؛ لكن هناك أيضاً جُزُر (أنا أعزل نفسي عن الجماعة، لا أهتمّ بالآخرين، ما همّني ماذا يُصيبهم أنا أريد أن أخلّص نفسي)؛ كما وهناك أراضٍ مسطّحة (أحاول مجاهداً ولكن لا أزال كما أنا لا أتغيّر). لنفتح اليوم أطلس حياتنا ونغوص إلى العمق للبحث عن الحقيقة. لكنَّ الشيء المهمّ أن نسأل أنفسنا: "ماذا نفعلُ هنا"؟

إذا ما رافقنا إيليا إلى حوريب فسنشترك في ألفته مع الله (١ مل ١٩: ١٤). إن هؤلاء الرجال الذين ظهروا في الكتاب المقدّس، أمثال إبراهيم وموسى وإيليا، ليسوا شخصيّات من الماضي، بل إنهم آباؤنا في الإيمان، وقدّيسو العهد القديم. فيمكننا إذاً أن نلتمس منهم كيفيّة ترسيخ حياتنا في الإيمان بكلمة الله.

إيليّا هو النبي الذي عاش في البحث الدائم عن الله، وبوسعه أن يهبنا حصَّةً من هذه النار الباطنية التي كانت تلتهمه من أجل الله: "إنّي غرت غيرةً للربّ إله الجنود" (١ مل ١٩: ١٤). وإن وضعنا خبرة إيليّا في مكانها ضمن مجموعة ظهورات الربّ في العهد القديم، يجب أن نتجاوز الظواهر العنيفة لاكتشاف حضوره الروحيّ في الإلفةِ والوداعة. إن إيليا هو ذاك الذي يقف أمام الربّ ليخدمه (١ مل ١٧: ١). إنّه قلب رسولٍ زاخرٍ بالغيرة لبيت الربّ.

ولكن بقوله: "الله الذي أنا واقف أمامه" والاضطرام شوقاً للقيام بالرسالة لا يعني القيام بخدماتٍ كثيرة، فالخدمة الوحيدة التي ينترها الله هو الانتباه والحضور. إنّ الربّ جعل نعيمه في أن يكون معنا (أمثال ٨: ٣١)، وهو ينتظر أن نمكث معه. فالصلاة هي أن يصرف الإنسان وقته أمام الله مجّاناً. إنها لنعمة كبيرة أن نفرح معه وأن نشعر بحضوره.

ولكنّ الله، قبل أن يكشف عن ذاته لإيليا، أجازه في البرية، والعزلة والتجرّد والملل واليأس. لقد اختبر إيليا الشعور بالإخفاق الذي طالما ينتاب قلبنا الإنساني: إني لست خيراً من آبائي. (١ ملوك ١٩: ٤). ولهذا فإن القدّيس يعقوب يقارننا بإيليا قائلاً: "إنّ إيليا كان خاضعاً للآلام مثلنا" (يعقوب ٥: ١٧).

وفي نهاية هذه الطريق الطويلة والأليمة عبر البريّة، اختبر إيليا الألفة مع إله قريب جداً. فلنعرض، نحن أيضاً، وجهنا التَعِب لِمَهَبِّ هذا النسيم الخفيّ الذي يُعَبِّر عن روحانية الله ووداعته، بقدر ما يعبّر الرمز عن الحقيقة. وقد أعطي إيليا، في لقاء حيّ، وحياً إضافيا عن كيان الله. فهو ليس العليّ القدير فحسب، بل هو أيضاً الإله الحاضر في هذه الألفة التي هي ميزة الروح الخاصة. ومن شأن الصلاة أن تذيقنا عذوبة حضور الله هذا. فهل "كلامه في حلقنا أحلى من العسل"؟ (مز ١١٩: ١٠٣). لذا علينا أن نرى وقلبنا يجب أن يذوق "ما أطيب الربّ". (مز ٣٤: ٨).

وحده الكمال الإنجيليّ سيُظهر لنا إلى أيّ مدى تبلغ هذه الألفة: إلى وسط الثالوث الأقدس؛ إنها شركة الأقانيم الإلهية الثلاثة الذين يتبادلون التلقّي والعطاء. فبقدر ما نسمع ونحفظ كلمة الربّ يسوع، تثبت فينا حركة الشركة هذه ويكون الثالوث حاضراً فينا. ويمكننا إلقاء الضوء على هذه الحقيقة عندما نقرأ ما جاء في إنجيل القدّيس يوحنا (يو ١٦: ٢٣؛ ١٥: ١-١٧). وبوسعنا أن نقول مثل يعقوب: "إن الربّ لفي هذا الموضع وأنا لم أكن أعلم" (تك ٢٨: ١٦). وفي التأمل علينا أن نضاعف من الغوص في سكنى الله هذه التي لا تنتزعنا من العالم الواقعيّ، بل تجعلنا أكثر حضوراً فيه. وحينما نعود إلى إخوتنا، سنتطلّع هذا السرّ في قلوبهم، ونسير بحضور الربّ في أرض الأحياء.

الأخت دولّي شعيا ر.ل.م.